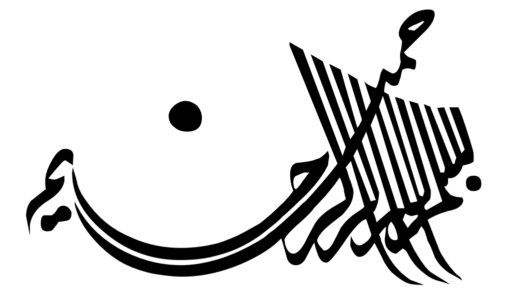
علماء آسية الوسطى (التركستان)
بين الماضي والحاضر

ونبذة عن أهم مدن تركستان التاريخية

تأليف

محمد بن موسى الشريف



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن الحديث عن هذه المنطقة حديث محبب إلى النفس، حسن الوقع، مهم جداً، وذلك لثلاثة أسباب:

أولاها: أن تاريخ هذه المنطقة يجهله كثير من المسلمين اليوم ولا يكادون يعرفون عن علماء المنطقة ومدنها التاريخية شيئاً، ويكادون يجهلون تماماً حال تلك البلاد، فكان من الواجب التبصير بشيء من ذلك، فكان هذا البحث.

الثاني: أن هذه المنطقة –تركستان- قد برز منها عشرات الآلاف من العلماء والمشايخ والفضلاء والنبلاء الذين كان لهم الأثر العظيم على الحضارة الإسلامية، وسطروا أروع الصفحات في تاريخنا في جوانب عديدة، وتلك الجهود الضخمة لابد من الحديث عنها وتعريف الأجيال بها.

الثالث: أن الحديث عنها يعدُّ من باب رد الجميل لهؤلاء الذين ضحوا وقدموا، وعادة النفوس أنها تحب الوفاء، ويأسرها الإحسان، لذلك فإني أظن أنه يطيب لإخواننا من أهل آسية الوسطى أن أتحدث عن أجدادهم حديث التلميذ عن شيخه، والطالب عن أستاذه.

ــ هذا الذي دعاني لكتابة هذا البحث.[1]

ــ وأدعو مثقفي المنطقة خاصة، وكل مهتم بتراث التركستانيين وحاضرهم عامة أن يضعوا نصب أعينهم أمرين:

الأول: إعادة كتابة تاريخ علماء المنطقة على وجه شامل، والتنقيب والتنقير عن كثير من العلماء ممن أسدل عليهم ستار الإهمال والنسيان، وذلك حتى تظهر إسهامات أهلنا في هذه المنطقة على هيئة شاملة كاملة نصل بها الماضي بالحاضر، وتكون بين يدي الأجيال الحالية والمستقبلية ضياء ونوراً على طريق عودتهم لسابق أمجادهم.

الأمر الآخر: البحث في سبل تثقيف وتعليم أبناء هذه المناطق اليوم، ودراسة كل العوامل التي تساهم في عودة المنطقة وأهلها إلى ما كانوا عليه من مشاركة تامة لإخوانهم المسلمين في فروع العلم والمعرفة، وفي الأحداث والأحوال التي تطرأ على بلادهم.

ــ هذان الأمران أرى أنهما من أوجب الواجبات في أعناق المسلمين عامة وأهل العلم والفضل خاصة، وهو أقل شيء نقدمه لأحفاد الذين علموا أجدادنا، وهذبوهم، وربوهم، وعنوا بهم أيما عناية.

---

(١) هذا بحث أعددته للمشاركة في مؤتمر أقيم في قزقستان بمدينة ألمآتا سنة ١٤٢٧-٢٠٠٦ بعنوان آسية الوسطى بين الماضي والحاضر. والشق الآخر من الكتاب: نبذة عن أهم مدن تركستان التاريخية كان أيضاً بحثاً أعددته للمشاركة في مؤتمر أقيم في طشقند بأوزبكستان سنة ١٤٢٨/٢٠٠٧.

وقد اقتصرت في عرضي للمدن الأزبكية على أشهرها وأهمها مما بقي إلى الآن، أما الباقي على هيئة أطلال ومن المهم ذكره فقد أوردته في آخر البحث، والله الموفق.

ولعل هذا البحث الموجز يكون طرقاً لباب قد أغلق منذ مئات السنوات، وقد ساهمت أبحاث أخرى قبل هذا البحث في طرقه فلعل الله أن يأذن بفتحــــه قريباً إن شاء، والله الموفق للصواب، وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

محمد بن موسى الشريف

البريد الإلكتروني: mmalshareef@hotmail.com
الموقع على الشبكة: www.altareekh.com

تمهيد

المقصود بآسيا الوسطى المذكورة في هذا البحث هو منطقة تركستان تحديداً، وهذا المصطلح مصطلح تاريخي يتكون من مقطعين، ترك، ستان ومعناه: أرض الترك، وتنقسم إلى تركستان الشرقية وتركستان الغربية.

أما تركستان الغربية فهي تشغل الثلث الشمالي الأوسط من قارة آسيا، ويحدها من الشرق جبال تيان شان، ومن الغرب جبال الأورال وبحر قزوين، وهي اليوم الجمهوريات الخمس: قزقستان، وأوزبكستان، وطاجكستان، وتركمانستان، وقيرغيزيا.

ـ وأما تركستان الشرقية فمساحتها ١.٨مليون كيلو متر -أي خمس مساحة الصين- وهي أكبر أقاليم الصين، وسكانها من أجناس مختلفة فمنهم الإيغور وهم أغلب السكان، والتركمان، والقزق، والأوزبك، والتتار، والطاجيك، ويحدها من الشمال الغربي تركستان الغربية، ومن الشمال الشرقي منغوليا، ومن الشرق أقاليم التبت الصينية، ومن الجنوب أفغانستان وكشمير.

وسمى الصينيون تركستان الشرقية باسم سنكيانج، أي الأرض الجديدة أو المستعمرة الجديدة، وكانت فيما مضى مقاطعة مهمة يمر بها طريق الحرير المشهور الذي يربط الصين ببلاد العالم القديم والدولة البيزنطية.

وهي اليوم غنية بالثروات الطبيعية، وفيها نفط هائل، وفحم كثير، ويورانيوم، من أفضل الأنواع، وهذا هو سر استماتة الصين في التمسك بها.

وقد وصل الإسلام إلى تركستان مبكراً منذ القرن الأول، وقامت فيهـــا دول متعددة مستقلة بعد ضعف الدولة العباسية، ثم سيطر عليها المغول الـــذين أسلموا فيما بعد.[١]

ومن المعلوم لدى القاصي والداني أن منطقة تركستان أنجبت أفذاذاً مـــن العلماء العظام في فروع العلم والمعرفة كلها تقريباً، وكان لهم أثر جليل علـــى الحضارة الإسلامية لا ينكر ولا يخفى، وظلت أسماء كثير من هـــؤلاء العلمـــاء منطبعة في أذهان العوام قبل الخواص لا تخفى عليهم، فمن من الناس لم يســـمع بالإمام البخاري رحمه الله تعالى -على سبيل المثال- ومن لم يسمع بابن سينا، ومن لم يسمع بالترمذي، وهكذا ...

وقد جرت دراسات عديدة: علمية أكاديمية وغيرها عن هـــؤلاء العلمـــاء الأفذاذ وجهودهم لكن هذه الدراسات تعتريها بعض جوانب الـــنقص، فمـــن ذلك:

---

(١) انظر -في تفصيل هذه الدول وأحوالها- الجزء الأول من كتاب الدكتور محمد علي البار "المسلمون في الاتحاد السوفيتي، عبر التاريخ".

١. أن هذه الدراسات -غالباً- كانت تتناول المشهورين البارزين أو متوسطي البروز، أما المغمورون والذين لم يشتهروا ألبتة فقد كانت الدراسات حولهم قليلة جداً أو منعدمة.

٢. إن هذه الدراسات كانت تفتقر إلى الربط فيما بينها؛ إذ كم دراسة مثلاً تناولت الإمام البخاري، هي مئات الدراسات لكن تظل مفتقرة إلى الربط فيما بينها وإكمال بعضها بعضاً، فمعظم هذه الدراسات كانت تبحث في سيرته بحثاً جديداً كأنه لم يُبحث من قبل، مع أن غالبها مكرور.

٣. إن هذه الدراسات كانت -في معظمها- جزئية غير شاملة لجوانب العلم والمعرفة، وغير مستقصية لأكثر العلماء الذين كانوا بالآلاف في هذه المناطق، وجرى أكثر توجه الباحثين نحو دراسات جزئية أدت إلى عدم ظهور الصورة الكاملة لجهود أولئك العلماء، وإلى جهل -عند أكثر المسلمين- بإسهام أولئك الفعلي في بناء الأمة وحضارتها.

نعم كانت هناك دراسات تتحدث بنوع من الشمول عن علماء المنطقة لكن كان المتناول من العلماء قليلاً، ولا يتجاوز المشهورين أو المعروفين، وكانت الدراسات تفتقر إلى العمق والإحاطة.

٤. هناك دراسات باللغات المتعددة لكنها لم تترجم سواء إلى العربية أو إلى لغات المسلمين الأخرى، ومن بينها لغة سكان منطقة آسيا الوسطى، بل إن الدراسات العربية لم يترجم أكثرها إلى لغة سكان المنطقة، دع عنك أن

تترجم الدراسات الغربية على سبيل المثال، وكذلك أبحاث علماء وباحثي هذه المناطق لم تترجم إلى العربية إلا نادراً.

وهذا أدى إلى انقطاع وعدم تواصل بين هذه الدراسات ، وبالتالي إلى قلة استفادة الباحثين منها بل إلى جهلهم بأكثرها.

وأقترح علاجاً لهذا واستدراكاً له ما يلي:

أ. استقراء جميع كتب التراجم القديمة التي ترجمت للعلماء والـــدعاة والمشايخ والفضلاء من هذه المنطقة، واستخراج كل الشخصيات التي خدمت الأمة ودينها وتراثها، وحصر كل ذلك حصراً علمياً.(١)

---

(١) جاء في شبكة إسلام أون لاين مايلي:

أعد د.عبد الله سعد رئيس الصندوق الدولي للإمام البخاري بالقاهرة موسوعتين عن تـــاريخ وعلمـــاء المسلمين في آسيا الوسطى الموسوعة الأولى بعنوان "علماء آسيا الوسطى": وصل عدد مجلداتها حـــتى الآن إلى ســـتة مجلدات، وقد طبعت باللغات المحلية للجمهوريات الإسلامية، ولا تزال تحت الطبع باللغة العربية، وقام المؤلف بمســـح كتب التراث، وكتب الأنساب، والفتوحات، والمعاجم، وتوصل إلى أن أكثر من ٣٥ % من علماء المسلمين في القرون الخمسة الأولى أنجبتهم بلاد آسيا الوسطى التي كانت تسمى تركستان أو بلاد ما وراء النهر، ووصل العلمـــاء الـــذين تناولتهم الموسوعة إلى ثلاثة آلاف عالم أنجبتهم أكثر من تسعمائة مدينة وقرية في جمهوريات آسيا الوسطى.

أما الموسوعة الثانية فهي باللغة الروسية، وهي موسوعة ضخمة تتحدث عن الإسلام كشريعة وعقائـــد وعبـــادات و أخلاق وآداب، كما تتحدث عن التاريخ الإسلامي والعالم الإسلامي، وترجم منها حوالي خمسة آلاف صفحة ـــ أي حوالي عشرين مجلداً ـــ إلى اللغة العربية، واستعان المؤلف في إعداد الموسوعتين ببعض الدارسين والباحثين المصـــريين، وبعض المترجمين من روسيا و الجمهوريات الإسلامية.

وهذا خبر رائع خاصة في شقه الأول: موسوعة علماء آسيا الوسطى، وأرجو أن يطلع أهل الجمهوريات التركســـتانية على هذه الموسوعة ويستفيدون منها في بعث سير علمائهم من جديد.

وهذا العدد -٣٠٠٠- على أنه لم يستوعب لكنه رقم ضخم، وأجزم أن أكثر هؤلاء لم يسمع أكثر المسلمين بأسمائهم و لم يعرفوا سيرهم ولا مجهوداتهم في إقامة حضارة الإسلام.

ب. استقراء جميع الدراسات الحديثة بكل اللغات التي درست علماء هذه المنطقة وإسهاماتهم في الحضارة الإسلامية وتاريخ هذه الأمة المجيدة، بل إسهاماتهم في إنشاء الحضارات العالمية آنذاك، وهذه النقطة الأخيرة مهمة جداً.

جـ. عمل دراسة جادة موسعة تعتمد على هذين الاستقراءين، يظهر معها حجم هذا الإسهام الضخم ومكانه من تاريخ الأمة وحضارتها، ومن ثم ترجمة هذه الدراسة لكل اللغات الحية.

د. الاستفادة من هذه الدراسة لوضع لبنات جيدة تسهم في إعادة البناء العلمي لهذه المنطقة في مختلف جوانب المعرفة، وإشعار الأجيال في هذه البلاد بعظمة أسلافهم على وجه تام وشامل مما يكون له أكبر الأثر في دفعهم إلى المعالي وشعورهم بالعزة بهذا التراث وهذا الدين العظيم.

والذي سأقصده في هذه الدراسة بالبحث هو دراسة الأسباب التي أدت إلى ضمور عدد العلماء في المنطقة مقارنة بما كان في ماضيها، ومحدودية علم أكثرهم ووعيهم، وسبل النهوض بأبناء المنطقة من جديد ليبذلوا كما بذل أسلافهم وينتجوا ويبدعوا كما كان أسلافهم مبدعين ومنتجين.

والمقصود بالماضي -في هذا البحث: علماء آسية الوسطى بين الماضي والحاضر- هو الماضي القريب وهو ما كان عليه العلماء المسلمون في بداية العهد السوفيتي خاصة وبداية الغزو الصيني لتركستان الشرقية وسيطرتهم عليها،

والمقصود بالحاضر هو حاضر هؤلاء العلماء منذ بداية استقلال الجمهوريات إلى الآن، وحاضرهم في تركستان الشرقية في السنوات الأخيرة خاصة.

أما الشق الآخر من البحث فيعرف بالمدن المشهورة في تاريخ الإســـلام، والتي بقيت إلى يوم الناس هذا، وأكثر هذه المـــدن إنمـــا هـــو في جمهوريـــة أوزبكستان، فسآتي على أسماء هذه المدن وأهم علمائها، وحالها اليوم، إن شاء الله تعالى.

وقد زرت أوزبكستان العام الفائت ١٤٢٨/٢٠٠٧، وألقيت هـــذا البحث في مؤتمر أقيم فيها، ولا تسألوا عن سعادتي بهذه الزيارة، ولا عن الشوق الكبير الذي أكنه في صدري لأهل هذه البلاد ولمدنها التاريخية الرائعـــة، فكـــم حدثتني نفسي بالوقوف على بخارى، وسمرقند، وطشقند (بلاد الشاش) وترمذ، ونمنكان، ومرغلان، وفرغانة، وأنديجان وغيرها من مدن هي معاهد الإســـلام، وموئل الأعلام، ولأسماء علمائها صدى يتردد في جنبات الزمـــان، ولهـــم في النفوس والعقول تبجيل واحترام، لا ينخرم بانخرام الأيام، فكانت زيارة تلـــك المغاني، والوقوف على تلك المباني رغبة دفينة تتردد في صدري حيناً بعد حين، حتى أذن الله بهذه الزيارة، وأسأله تعالى ألا يجعلها آخر العهد بتلك الديار، وأن يمن علي بتجديد الصلة آناً بعد آن.

وقد اقتصرت في عرضي للمدن التركستانية -وغالبـــها في أوزبكســـتان اليوم- على أشهرها وأهمها مما بقي إلى الآن، أما الباقي على هيئة أطلال وكان من المهم ذكره فقد أوردته في آخر البحث، والله الموفق.

المحتويات

المبحث الأول: أسباب تاريخية

المطلب الأول: قلة التواصل الثقافي بين الأجيال:

عاشت أجيال في آسيا الوسطى منقطعة عن تاريخ علمائها وسيرهم تقريباً، إذ لم يكن هناك جسر ممتد بين القرون الوسطى والأولى الهجرية وبين القرون المتأخرة، وسبب ذلك يعود إلى عوامل ثلاث في ظني والله أعلم.

العامل الأول: ضياع الكتب وقلة الباقي منها:

وهذا يتضح في النقاط التالية:

أ. تلف آلاف الكتب التي ترجمت للعلماء، وضياع سيرهم بسبب تعرض المنطقة للحروب المتكررة من التتار ومن جاء بعدهم حتى الغزو الروسي.

ب. ما بقي من هذه الكتب ــ على قلتها ــ لم يترجم إلى لغات المنطقة، وذلك بعد تغيير الحرف العربي إلى الحرف الروسي، كما سيأتي.

ج. قلة عدد التراجم التي ترجمت لسير المتأخرين من العلماء والمشايخ والدعاة والفضلاء.

د. قلة عدد المطبوع من هذه الكتب، فقد ظلت المخطوطات عرضة للسرقة والضياع عبر القرون.

العامل الثاني: قلة أو انعدام التواصل الثقافي مع العالم الإسلامي:

وذلك أن الروس والصينيين كانوا يمنعون استيراد الكتب التي تتحدث عن علمائهم ومناطقهم من العالم الإسلامي، أما الروس فكانوا لا يسمحون بتخصيص مبالغ بالعملة الأجنبية الصعبة لشراء مثل هذه الكتب لأنهم لا يعترفون بالعمل الإسلامي عموماً ولا يعدونه من وسائل الإنتاج[١] بل تعدى الأمر إلى مصادرة الكتب والمصاحف ومعاقبة من بيده شيء منها وذلك في قانون سنة١٩٤٠م[٢]، وأما الآن فالوضع بعد سقوط الاتحاد السوفيتي أفضل.

وأما الصينيون فيمنعون منعاً باتاً دخول الكتب الإسلامية إلى تركستان الشرقية، ويصادرونها لو وصلت إلى الحدود ولو عن طريق الإهداء، فقد صادروا الترجمة الإيغورية لمعاني القرآن الكرم التي طبعت في مجمع الملك فهد في المدينة المنورة وشحنتها رابطة العالم الإسلامي، وبلغ عددها ثلاثمائة ألف نسخة !!!، ومنعوا تداول الكتب والمواد الإسلامية، ومنعوا استعمال أشرطة التلاوة في السيارات والاجتماعات الخاصة.[٣]

---

(١) "في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر"، محمد ناصر العبودي : ٧٥.

(٢) المصدر السابق: ٢٥٨.

(٣) "تركستان الشرقية: البلاد الإسلامية المنسية" : ٤٩.

العامل الثالث: تحويل الخط من العربية إلى اللاتينية:

أصدرت السلطات الشيوعية سنة ١٩٢٥م قراراً بتحويل حروف هجـــاء اللغة التركية الجغتائية - التي تكتب بالحروف العربية - التي هي لغة مســـلمي تركستان إلى حروف الهجاء الروسية(١) وقد طبق هذا القرار علـــى مـــرحلتين المرحلة الأولى تحويل حروف الهجاء إلى اللاتينية ثم حولت إلى الروسية.(٢)

وبلغ من دهاء المسؤولين في الاتحاد السوفيتي الهالك أنهم كانوا قد غـــيروا سياساتهم بعد سنة ١٩٦٥م في مسألة الكتب الإسلامية والمصاحف والأنشطة الثقافية ليخدموا أغراضاً إعلامية وإعلانية، فقد طبعوا المصاحف وبعض الكتب الإسلامية باللغة العربية بأعداد محدودة لاستعمالها في الإهداء الخارجي، ومنعوا تداولها لغير المنتسبين للإدارات الدينية.

وروجوا لمجلة "المسلمون في الشرق السوفيتي" بعدة لغات بهدف الدعايـــة الرسمية لحرية اعتناق الدين الإسلامي ونشاط العاملين المسلمين وهيئاتهم.(٣)

وعقدوا عدة مؤتمرات إسلامية مثل المؤتمر الإســـلامي بمناســـبة مـــرور ١٢٠٠سنة على وفاة الإمام البخاري سنة ١٩٧٤م واشتركت فيه ٢٥ دولـــة ورابطة العالم الإسلامي وعدد من الهيئات الإسلامية.

---

(١) "مسلمو تركستان و الغزو السوفيتي "، ٣٣ .

(٢) "الفتح المبين، في بعض أحوال الإسلام والمسلمين في الاتحاد السوفيتي"، عبد الحميد جعفر الداغستاني : ١٨.

(٣) "بخارى وما وراء النهر"، محمد ناصر العبودي : ٢٦١ – ٢٦٢.

ومثل الاحتفال بمرور ثلاثين عاماً على إنشاء الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازقستان في طشقند ١٩٧٦م، وهكذا ... وكانت كل تلك المؤتمرات دعائية إعلانية.(١)

---

(١) المصدر السابق.

المطلب الثاني: سيطرة الروس والصينيين على المنطقة ومحاربة علمائها:

قد استطاع الروس والصينيون السيطرة على المنطقة منذ وقت مبكر نسبياً، أما الروس فقد أخذوا في السيطرة عليها ابتداءً من سنة ١٨٦٠م وعاثوا فيها فساداً، وطمسوا تاريخها الفكري والثقافي وعبثوا بعقائد أهلها، والذي سيق البحث من أجله إنما هو أحوال علماء المنطقة، وقد عبث الروس بهم على النحو التالي:

١. تشويه سيرة العلماء العاملين والدعاة والصالحين وكل عامل لدينه.

فقد عقد الروس محاكمات علنية وسرية للعلماء ولمدرسي الدين في جميع أنحاء البلاد التركستانية الغربية، وذلك بدعوى أنهم أعداء الشعب ومحرضون ضد النظام الجماعي، وصدرت ضدهم أحكام متنوعة بالإعدام والاعتقال والأشغال الشاقة والنفي إلى معسكرات السخرة.(١)

٢. تحويل الخط من العربية إلى اللاتينية:

وقد سبق الحديث عن هذا آنفاً في المطلب الأول.

٣. إضعاف العلماء الذين كانوا موجودين أثناء الغزو الروسي وبعده:

عمد الروس إلى إضعاف العلماء الذين كانوا يقاومون غزوهم بشتى الطرق؛ فمن ذلك:

---

(١) "بخارى وما وراء النهر"، محمد ناصر العبودي : ٢٥٨.

أ. منعهم من التواصل مع نظرائهم من علماء العالم الإسلامي عن طريق منعهم من السفر والحج، بل منع الروس العلماء خاصة والناس عامة من التنقل بين جمهوريات الاتحاد السوفيتي إلا بتأشيرة فما بالكم بالتنقل خارج الاتحاد السوفيتي؛ أما الحج فقد منعوه تماماً، ولم يكن يحج من مسلمي الاتحاد السوفيتي إلا وفد لا يزيد عدده عن بضعة عشر رجلاً كلهم من العاملين في الإدارات الدينية أو إمامة المساجد.[١]

ب. إشغالهم دوماً بالمكائد والدسائس.

ج. إسقاط منزلتهم من أعين الناس عن طريق استمالتهم أو الإيقاع بهم في مستنقع الشهوات، والشبهات، فقد كان بعض المفتين أعضاء في الحزب الشيوعي الأعلى! وأنشأ ستالين أربع إدارات دينية كان هدفها التضييق على المسلمين والتجسس عليهم وتوجيههم لخدمة الشيوعية.[٢]

د. إغلاق المدارس التي كانت تخرج آلاف العلماء:

---

(١) "بخارى وما وراء النهر" ، محمد ناصر العبودي : ٧٧.

(٢) المصدر السابق : ٢٥٨.

ففي سنة ١٩٢٦م أغلق الروس خمس عشرة ألف مؤسسة تعليمية، وهذا عدد هائل كان يخرج عشرات الآلاف من العلماء.[١]

هـــ. التضييق التام على المساجد وحلقات القرآن الكريم.

وفي سنة ١٩٢٨م أغلق الروس سبعة وعشرين ألف مسجد يخدمها قرابة خمسة وأربعين ألف إمام ومؤذن وعامل ولم يبقوا إلا ألفاً فقط.[٢]

وليت المساجد سلمت بالإغلاق بل إن الروس دمروا أكثرها وحولوا بعضها إلى مستودعات وإسطبلات ونواد ليلية.[٣]

ولا شك أن التضييق على المساجد على هذا النحو معناه التضييق على العلماء، ومنعهم من الاتصال بالناس؛ وذلك لأن المساجد هي الحلقة الأهم في اتصال المشايخ بعامة المسلمين.

وقد سمح بين سنة ١٩٦٥ــ١٩٨٦م بفتح عدد محدود من المساجد لكنها ظلت في معظمها لأغراض الدعاية ولاستقبال الضيوف من العالم الإسلامي، ولما فتحوا ما فتحوا منها زعموا أنها مراكز ترفيهية واجتماعية للمسلمين المتقاعدين والمسنين والعجزة لقضاء أوقات فراغهم، وممارسة نشاطاتهم الاجتماعية والثقافية!!.[٤]

---

(١) "الفتح المبين"، الداغستاني :٢١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) "بخارى وما وراء النهر"، محمد ناصر العبودي : ٢٥٨.

(٤)"بخارى وما وراء النهر"، محمد ناصر العبودي: ٢٦١.

وإلى سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م كان عدد المساجد المفتوحة في طشقند وضواحيها (١٥) مسجداً من مئات المساجد المغلقة[١] لكن الغالبية العظمى من المصلين إنما هم من كبار السن والمتقاعدين وقلما يوجد بينهم شاب.[٢]

وبصورة عامة كان الشيوعيون يصادرون المساجد ثم لا يسمحون بإعادة الفتح إلا لعدد قليل جداً، وبإذن خاص، وبتعقيدات كثيرة، كذلك الحال في بناء مساجد بعيدة فإنهم لا يسمحون بذلك إلا بشق الأنفس وبشروط عسرة جداً، وفي الماضي لم يكونوا يسمحون أصلاً ببناء أي مسجد.[٣]

و. قتل العلماء وسجنهم وتشريدهم وهذا حدث ابتداء من سنة ١٩٣٢[٤] وقدر عدد الأئمة الذين قتلهم السوفيت بخمسين ألف شخص.[٥]

ز. حملهم على حضور لقاءات دورية مع الاستخبارات الروسية[٦] وهذا يؤدي إلى جعلهم مطية لتنفيذ أغراض الروس ومن ثم إسقاط مترلتهم من أعين الناس.

---

(١) المصدر السابق: ٩٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: ٢٥.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق: ٢٥٨.

(٦) وكالة الأسوشيتد برس في لقاء مع الشيخ عابد خان قاريناز اروف.

٤. إلغاء المحاكم الشرعية:

في سنة ١٩٢٤م ألغى الروس المحاكم الشرعية[١] وفي هذا إضعاف تـــام للتعليم الشرعي، ولمكانة العلماء والقضاة، وفي أوزبكستان فقط أغلقت ٣٤٢ محكمة شرعية سنة ١٩٢٢م.[٢]

٥. مصادرة الأوقاف الإسلامية:

وهذا تم سنة ١٩٣٠م[٣]، والأوقاف مصدر القوة للعلماء، وتجعلـــهم لا يخضعون للدولة وتضييقها فإذا ألغيت احتاج العلمـــاء ودب فـــيهم الضـــعف والخور.

٦. إغلاق المدارس الإسلامية:

والمدارس من أهم وسائل نشر الإسلام في طبقات الشعب، فقـــد أغلـــق الروس من سنة ١٩٢٩م إلى ١٩٤١م ٦٣٠٠ مدرسة إسلامية، وأكثر من ٦٠٠ معهد إسلامي عال.[٤]

وكل المدارس التي افتتحت بعد ذلك في الاتحاد السوفيتي كان لفتحها إذن خاص من جهات استخبارية عليا وظلت معظمها مسخرة لأغـــراض دعائيـــة وإعلامية.

---

(١) "الفتح المبين"، الداغستاني : ٢٠.

(٢) "بخارى وما وراء النهر"، محمد ناصر العبودي : ٢٥٨.

(٣) "الفتح المبين"، الداغستاني : ٢١.

(٤) "بخارى وما وراء النهر"، محمد ناصر العبودي : ٢٥٨.

وهذه المشقة في التدريس والتضييق على المشايخ أدت إلى قلة واضحة في طلبة العلم والمشايخ في تلك المناطق. و لتتضح الصورة أكثر أذكر أنه في الاتحاد السوفيتي كله لم يكن للمسلمين مدارس دينية خاصة؛ إلا معهد الإمام البخاري وفيه ٥٢ طالباً فقط، ومدرسة (مير عرب) وفيها ٩٠ طالباً فقط، وهؤلاء الطلاب حال تخرجهم كان المتوقع منهم خدمة أكثر من خمسين مليون مسلم في الاتحاد السوفيتي، وكان هذا الحال سارياً إلى أوائل الثلاثينات الميلادية، من القرن الفائت.[١]

٧. إنشاء الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازقستان سنة ١٩٤٨م وذلك لتخدير الرأي العام بإيهامه أن الدولة تتبنى حرية الدين والاعتراف بالعلماء بينما كان الغرض من إنشاء هذه الإدارة وفروعها هو احتواء المسلمين وممارساتهم الإسلامية في هذه الإدارات.[٢]

التركستان الشرقية:

وأما الصين فقد غزت الأراضي التركستانية لأول مرة سنة ١٧٥٩م، ودار الصراع قرناً كاملاً تقريباً إلى أن استطاع التركستانيون الظفر باستقلالهم سنة ١٨٦٥م، وأعلن الحاكم يعقوب خان مبايعته للسلطان العثماني عبد العزيز خان، ثم بعد عشر سنوات احتلت الصين تركستان الشرقية، ثم طردهم منها

---

(١) المصدر السابق : ٢٢٣.

(٢) المصدر السابق ، ٢٥٩.

التركستانيون سنة ١٩٣٣م، وأعلنوا كاشغر عاصمة للدولة، وبعد عام واحـــد من استقلال تركستان احتلتها روسيا، ولما ضعفت روسيا أثناء الحرب العالمية الثانية استولت الصين على تركستان، وفي سنة ١٩٤٤م ثار التركستانيون فنالوا استقلالهم ثم اجتمع عليهم الروس والصينيون فأسقطوا حكومة الاستقلال، وفي سنة ١٩٤٩م اجتاحت القوات الصينية الشيوعية أرض تركســـتان الشـــرقية، وبقيت تركستان الغربية في يد الاتحاد الســـوفيتي حـــتى ســـقط،[١] ونالـــت الجمهوريات استقلالها.

و لم ينته جهاد المسلمين ضد الصينيين بسقوط بلادهم بل استمر جهادهم، فعلى سبيل المثال، قد قامت ثورة عارمة سنة١٣٨٦هـــــ/١٩٦٦م في مدينـــة كاشغر، استشهد على أثرها ٧٥ ألف مسلم.

ـــ وأما ما عملته الصين من خطوات في التضييق على العلماء فقد شابه ما عمله الروس، فمن ذلك:

١. منع خروج العلماء تماماً من البلاد سواء للحج أو لغير ذلك، ومنـــع دخول الأجانب إلى البلاد تماماً.[٢] وتغير الحال بعد ذلك لكن التغيير كان شكلياً، فقد حددت عدد التركستانيين المسموح لهم بالحج بألف ومائتين ـــ وهذا في موسم الحج ١٤١٦هـــ فما بالكم بقبلـــه ـــ ولا

---

(١) "مجلة المجتمع"، عدد ١٤٠٦ في ٢٧/٦/٢٠٠٠م .

(٢) "إسلام أون لاين": صفحات مجهولة من تاريخ أسود.

يحج أحد إلا بإذن الجمعية الإسلامية الصينية، وهذا يعني باختصار أنه لا يحج إلا من يريدون.

وفي سنة ١٩٩٤م أصدر الصينيون قانوناً يمنع اتصال الهيئـات الدينيـة ورجالها بالمؤسسات الإسلامية وشخصياتها في خارج الصين، ومنع السـماح لأي إمام أو عالم أجنبي من إمامة المسلمين أو وعظهم في المساجد، وهذا حتماً مؤدٍّ إلى إغلاق المنطقة الإسلامية التركستانية الشرقية تماماً، وحصـر همومهـا ومشكلاتها فيها، ونسيانها من قبل المسلمين، ويؤدي ـــ وهذا هو الأخطـر ـــ إلى التضييق التام على العلماء وعلاقاتهم وأنشطتهم الدينية.

٢. إلغاء المؤسسات الدينية وهدم أبنيتها ، وهدم المساجد أو اتخاذها أندية أو مستودعات.[١]

٣. تغيير حروف العربية إلى حروف أجنبية لقطع صلة الشـعب المسـلم بتاريخه.[٢]

وهذه النقاط الثلاث تضعف تماماً من أثر العلماء.

٤. نفي العلماء:

فهذا الشيخ محمد أمين بغرا ـــ رحمه الله ـــ نفي إلى تركيـا، وتـوفي في أنقرة سنة ١٩٦٥م، وهو صاحب كتاب "تاريخ تركستان الشرقية" الشهير.[٣]

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) شبكة الأخبار العالمية الإيجورية.

٥. **سجن العلماء:**

فقد سجنت الصين آلاف العلماء المسلمين، خاصة سنة ١٩٧٩م، وهناك مثل مهم لعالم مسلم اسمه عبد الأحد مخدوم وعمره الآن ٧٦ سنة، سجن سنة ١٩٥٨م لمدة ١٥ سنة مع الأشغال الشاقة، وفي سنة ١٩٧٤م أفرج عنه بعد قضاء المدة، وصار يدرس العلوم الشرعية تحت الأرض فسجن ١٩٧٩م لمدة سنة، ثم سجن سنة ٢٠٠١ لمدة شهرين، ثم سجن لمدة سنة عام ٢٠٠٤م، هذا وهو مريض وشيخ كبير.(١)

٦. التزام الأئمة والخطباء بقراءة خطبة الجمعة من كتاب بعنوان "الوعظ والتبليغ الجديد" وقد وضع الكتابَ الهيئة الصينية للإشراف على الشؤون الدينية الإسلامية، ولا يسمح لأي إمام بالخروج على نصوصه.(٢) وهذا لاشك يضعف الأئمة، ويضعف من تأثير خطبهم وكلامهم في الناس.

٧. إجبار الأئمة على حضور دورات تأهيل في السياسة الأيدلوجية الشيوعية، وهذه الدورات تستهدف ثمانية آلاف إمام وخطيب ومدرس شرعي، وقد قال مسئولون صينيون: إن أهم أهداف هذه الحملة التثقيفية هي جعل الأئمة يقفون في صف الحكومة لمواجهة

---

(١) المصدر السابق.

(٢) إسلام أون لاين: شؤون سياسية.

التيار الانفصالي بين الشباب التركستاني وإقناعهم بسياسات الحكومة الدينية والثقافية والاقتصادية،[١] بل وصل الأمر إلى إرسال الأئمة إلى معسكرات عمل لإعادة تأهيلهم وفق المبادئ الشيوعية !!.[٢]

٨. مصادرة الكتب الإسلامية وحرقها.

٩. منع الشباب تحت سن ١٨ سنة من التعليم الديني بكل أنواعه، منعاً مطلقاً وعقاب من يخالف ذلك بالسجن والجزاءات المالية،[٣] ومنع النساء مطلقاً من جميع أشكال التعليم الديني.[٤]

١٠. هدم المساجد المجاورة للمدارس مخافة أن يتردد عليها المدرسون أو الطلاب،[٥] وهذا والذي قبله يؤدي إلى إضعاف صلة الشباب بدينهم وعلمائهم، ويضعف من تأثير العلماء في العامة.

١١. منع كل موظفي الدولة ومنسوبي الأجهزة الحكومية والحزبية الشيوعية من ممارسة أي نشاط ديني أو إعلان الإيمان بالله أو بالآخرة[٦] وهذا يضعف من ارتياد المسلمين المساجد والصلة بالمشايخ

---

(١) المصدر السابق : الأخبار : ٢٠٠١/١١/١٧م.
(٢) "تركستان الشرقية": البلد الإسلامي المنسي :٣٢.
(٣) "إسلام أون لاين": الأخبار : ٢٠٠١/١١/١٧.
(٤) "تركستان الشرقية: البلد الإسلامي المنسي": ٣٢.
(٥) اسلام أون لاين: الأخبار : ٢٠٠١/١١/١٧.
(٦) "تركستان الشرقية البلد الإسلامي المنسي": ٤٩-٥٠.

والعلماء، وبمعنى آخر فإن هذا يؤدي إلى فصل المسلمين عن مشايخهم وعلمائهم، وعزل العلماء في زاوية ضيقة جداً.

١٢. تسريح آلاف من الأئمة من وظائفهم بدعوى عدم ولائهم لأجهزة الحزب الشيوعي ومعارضتهم سياساتها في التعليم، وقانون الأحوال المدنية وتحديد النسل.

١٣. أخذ التعهدات على الأئمة بعدم تعليم أبناء المسلمين أحكام الدين وتعاليمه، وعدم تحفيظ القرآن الكريم للناشئين.(١)

١٤. قانون سنة ١٩٩٤م ألزم العلماء والأئمة بالخضوع لزعامة الحزب الشيوعي الصيني، والعمل بالنظام الاشتراكي، وتنفيذ سياسة الحزب الشيوعي تجاه الدين، ومنع الأئمة من التدخل في الأحوال الشخصية كعقود الأنكحة !!! والطلاق والميراث.(٢)

هذه القوانين والأنظمة التي وضعها الروس والصينيون، وطريقة معاملتهم للأئمة وتضييقهم عليهم، كل هذا أدى إلى عزل العلماء في زاوية ضيقة، وإبعادهم عن الاحتكاك الفعال بالمجتمع، وأدى أيضاً إلى أمر مهم جداً وهو الإقلال من عدد طلبة العلم الذين سيكونون مشايخ وعلماء يؤثرون في الناس

---

(١) المصدر السابق ٣٩-٤٠.

(٢) المصدر السابق.

ويقودونهم، ووجدت طبقة من العلماء والمشايخ كـــان هـــدفها الـــدنيا ومباهجهـــا وملذاتها، وكان الدين شعاراً للتغطية على مطامعهم.

ـــ وهذا كله لم يمنع من وجود قلة من العلمـــاء المخلصـــين الصـــالحين العاملين ظلوا كالشمعة في وسط هذه الظلمات الحالكة.

المطلب الثالث: ضعف العالم الإسلامي والجمود الذي أصاب المسلمين:

كان العالم الإسلامي في عافية وقوة حتى بدايات القرن الحادي عشر الهجري، حيث أخذ بعد ذلك في الانحطاط عبر القرون إلى أن ضعف تماماً في بدايات القرن الرابع عشر، وعم هذا الضعف أقطاره حتى في القلب منها فما حال الأطراف إذاً، ولما كانت هذه المنطقة بعيدة عن قلب العالم الإسلامي فقد أصابها الضعف، وتركت لمصيرها، وهذا الضعف أثر على المنطقة سياسياً واقتصادياً، ومن ثم فكرياً، و ثقافياً.

وإذا علمنا أن هذه المنطقة بعيدة عن مراكز العلم والثقافة في القاهرة ودمشق وبغداد وغيرها علمنا حال المنطقة، لأن تلك الحواضر المذكورة قد عمها ضعف ظاهر وهي في قلب العالم الإسلامي فكيف بغيرها من الأطراف ؟!.

وكان لهذا الضعف أثره البالغ السوء على علماء المنطقة ومشايخها، وقد بينت هذا الأثر فيما سبق من الصفحات، وفيما سيلي ذلك من نقاط، إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني: أسباب ذاتية

هناك أسباب أدت إلى ضعف علماء المنطقة مقارنة بمن كانوا فيها من النجوم المضيئة، وهذه الأسباب ذاتية منبعثة من العلماء أنفسهم، وتنقسم إلى التالي:

المطلب الأول: انشغال العلماء بالجهاد عن طلب العلم ونشره:

وهذا هو واجب العلماء بلا شك، ألا وهو الجهاد في سبيل الله تعالى ودفع العدو عن ديار الإسلام، لكن هذا الواجب شغل العلماء في المنطقة أكثر من قرن كامل، لم يتفرغوا فيه لنشر العلم على وجه مناسب، وأيضاً قتل الروس والصينيون عشرات الآلاف من العلماء في بلاد التركستان، لأن العلماء كانوا هم طليعة القوى المجاهدة فانتقم منهم الروس والصينيون انتقاماً فظيعاً، وقتلوا أكثرهم، ونفوا كثيراً منهم إلى مناطق بعيدة[١] وأدى هذا إلى ظهور أجيال لم تجد المحضن المناسب لطلب العلم، وهذا أدى مع مجموعة من العوامل الأخرى التي تكلمت عنها في المبحث الأول إلى قلة بل ندرة في أعداد العلماء العاملين، والمتضلعين من العلوم الشرعية.

---

(١) انظر كتاب "المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ": ٣١٧/١-٣٣٩.

المطلب الثاني: تعلق بعض العلماء بالتصوف في شقه السلبي:

للتصوف مزايا وإيجابيات، وعليه في الوقت نفسه مآخذ وفيه سلبيات، ولا شك أن التصوف ــ خاصة الطريقة النقشبندية ــ كان له أثر في الجهاد ومقاومة الروس، وكان له أكبر الأثر في نشر الإسلام في تلك الديار،[١] لكني أعني الأثر السلبي خاصة ويتضح في هذا العصر بانصراف كثير من علماء الصوفية عن المشاركة الإيجابية في قضايا بلادهم السياسية وغيرها؛ إذ لم نعد نرى نماذج مضيئة قوية كما رأيناها في الماضي عند النقشبندية وغيرهم، وهناك بعض مراكز الأبحاث العلمية التي بحثت هذا الموضوع وأولته عنايتها، مثل مركز نيكسون الذي أصدر بحثاً سنة ٢٠٠٤ عن كيفية استفادة أمريكا من الحركات الصوفية في المنطقة، وخرجوا بتوصيات عدة إثر ندوة عقدوها في هذا الشأن وضمنوها بحثهم، ومن تلك التوصيات:

١. إحياء الموروثات الصوفية والتقاليد الطرقية لمقاومة الحركات الإسلامية الواعية.
٢. تقديم منح مالية لتدعيم ورعاية الأضرحة الصوفية.
٣. العناية بالمخطوطات الصوفية والتراث الثقافي الخاص بها.

---

(١) انظر دراسة للدكتور عاطف عبد الحميد عن الصوفية النقشبندية في مجلة المجتمع: عدد ٦٨٧، في ٢٠٠٦/٢/٤، وانظر كلام د.محمد علي البار عن هذا الموضوع في "المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ": ٣٥٨/١-٣٨٩.

٤. إغراق أسواق المنطقة بكتب الصوفية.
٥. تقديم التسهيلات اللازمة لإعداد مواد إعلامية متلفزة عن الصوفية ومشايخها، وأضرحة الأولياء، وفضائل زيارة تلك الأضرحة، ونشرها في تلفزيونات المنطقة.
٦. السماح بإقامة مراكز لممارسة الصوفية عوضاً عن الأسلوب الحالي في ممارستها في شقق.
٧. تعيين خطباء المساجد وأئمتها من الصوفية.
٨. التمويل المالي للطرق الصوفية، والدعم المالي لنشر الفكر الصوفي.[١]

وهذه الخطوات تبرز أسئلة كثيرة ومتنوعة عن مهمة الصوفية ومشايخها في المنطقة، وهل يرضون أن يكونوا كلهم أو بعضهم أداة من أدوات الاستخراب العالمي في منطقة آسيا الوسطى ؟!

(١) المصدر السابق بتصرف

المطلب الثالث: وجود عوائق ذاتية:

كان هناك عدد من العوائق الذاتية التي تمنع عدداً من العلماء من تحصيل العلم الواسع والبروز، فمن ذلك:

١. ضعف معرفة اللغة العربية.

وهذه نتيجة حتمية لخطوات تغيير الحرف العربي، والتضييق على العلماء ومنعهم من السفر إلى الخارج ولو إلى الحج، وضعف وسائل الإعلام العربية، إلى آخر العوامل العديدة التي ذكرتها في البحث.

٢. قلة الوعي وضعف الاتصال بالعالم الإسلامي.

وذلك بسبب عزلهم وقسرهم على البقاء في بلادهم، ومنعهم من الاتصال بالعالم الإسلامي ولو للحج، وقد بينت ذلك فيما سبق، وهناك سبب مهم وهو أن هؤلاء العلماء لا يكادون يعرفون إلا لغاتهم المحلية وربما يعرفون الروسية أيضاً، وهذا يحصر أسباب المعرفة عندهم في حدود ضيقة لأنه حتى لو قيل إن الانترنت يصل بين الشعوب، تبرز معضلة اللغة والتمكن منها، وقلة ذات اليد مانعة لأكثرهم من الاستفادة من هذه الوسيلة المهمة، وبالإضافة لعدم تدرب أكثرهم على استخدامها.

٣. ضعف الحصيلة العلمية:

وهذا كله نتيجة طبيعية لما سبق ذكره من عوامل وأسباب في ثنايا البحث.

إذاً قد أدى كل ما سبق إلى ضعف أكثر العلماء، وتواريهم، وعدم استطاعتهم القيام بالواجب المنوط بهم.

٤. الميل إلى الدنيا والركون إليها:

وهؤلاء هم المشايخ النفعيون، الذين لا يريدون بعلمهم وجه الله تعالى، وهذا الركون إلى الدنيا هو من أعظم العوائق التي تمنع استفادة الناس منهم، وتفقد الثقة بهم.[١]

---

(١) "الفتح المبين"، للداغستاني: ٣٩.

المبحث الثالث
واجب المسلمين تجاه بعث الحركة العلمية في تركستان

بعد كل ما تقدم لا بد إذاً من التعريج على واجب المسلمين في بعث الحركة العلمية في تركستان بشقيها لا سيما بعد التذكير بأمرين هما:

١. الانفراج النسبي الذي حصل بنيل جمهوريات تركستان الغربية استقلالها وتطلعها إلى اللحاق بركب الحضارة العالمية، واستعادة أمجادها الغابرة.

٢. التضييق المستمر إلى الآن على إخواننا المسلمين في تركستان الشرقية، الذين يعانون أشد المعاناة من القهر الصيني لهم.

لذلك لابد من قسم ما ينبغي عمله إلى قسمين:-

القسم الأول: العمل في جمهوريات تركستان الغربية.

القسم الآخر: العمل في جمهوريات تركستان الشرقية.

أما جمهوريات تركستان الغربية فإني أرى أنه لابد من عمل الآتي:

١. تقديم منح كثيرة للطلاب في جامعات عديدة في البلاد العربية والإسلامية للدراسة في التخصصات الشرعية والتاريخية والأدبية واللغوية والعلمية.

٢. إنشاء فروع للجامعات الإسلامية في تلك المناطق.
٣. تشجيع الطلاب على الدراسة عبر الإنترنت في الجامعات التي تجيز مثل هذا النوع من الدراسة، فهذا أمر يفتح آفاقاً كبيرة أمام هؤلاء الطلاب.
٤. تشجيع دراسة اللغة العربية في مختلف المستويات الدراسية.
٥. إنشاء كراسي للغة العربية والشريعة في كل جامعات المنطقة.
٦. إنشاء فروع للهيئات والمؤسسات الثقافية الإسلامية.
٧. تشجيع علماء المنطقة على الاتصال بنظرائهم من العالم الإسلامي، ودعوتهم لكل المناسبات العلمية.
٨. عقد دورات شرعية مكثفة في مناطق التركستان الغربية يراعى فيها الفروق المذهبية.

وأما تركستان الشرقية فأرى عمل التالي:

١. التعريف بقضيتهم ونشرها على أوسع نطاق ممكن، وهذا قد يؤدي إلى تخفيف القيود الثقيلة التي تقيد بها الحكومة الصينية الناس عامة والعلماء خاصة.
٢. الضغط على حكومة الصين بكل وسائل الضغط حتى تفتح حدودها لمسلمي تركستان الشرقية وتسمح لهم بحرية التنقل لأداء الحج، ولغيره من أمورهم وشؤونهم.

٣. منح الطلاب النابغين منحاً للدراسة في الدول العربية والإسلامية.

٤. تشجيع الطلاب على دراسة الشريعة واللغـــة في جامعـــات عربيـــة وإسلامية من خلال الانترنت فهذه الوسيلة ناجحة تماماً ولا يمكن لأية حكومة منعها بإذن الله تعالى.

وبهذا انتهى الشق الأول من البحث، والشق الآخر الآتي:

هو نبذة تاريخية ومعاصرة عن أهم مدن التركستان.

المبحث الرابع:
نبذة عن أهم مدن التركستان التاريخية



أنديجان (اندوكن)

وهي من بلاد فرغانة، قال ياقوت:

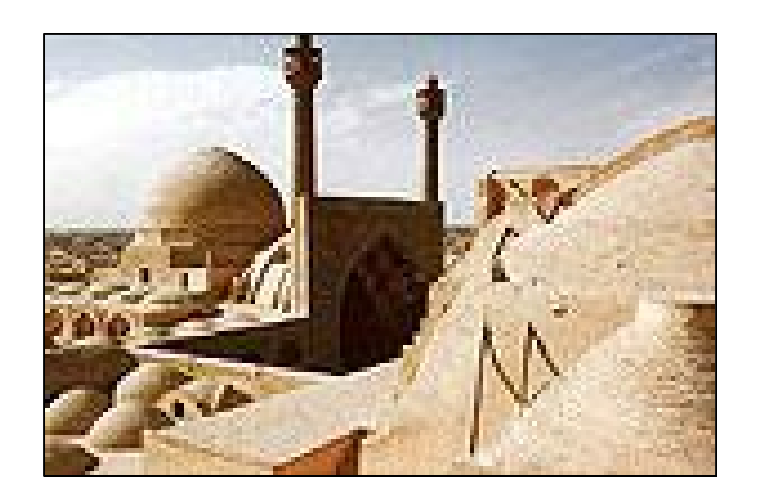
"ينسب إليها أبو حفص عمر بن محمد بن طاهر الأندُكاني الصـــوفي. كان شيخاً مقرئاً عفيفاً صالحاً عالماً بالروايات. مات بقرية قلشان في جمـــادى الأولى سنة ٥٤٥هـــ"[١]



(١) "معجم البلدان" : ٢٦٢/١.

أوزجند (أوزكند) (يوزكند)

قد ذكر المؤرخون أنها كانت من أكبر الثغور مع الترك[١]، وكانت مركزاً للتجارة مع الترك، وهي باقية إلى اليوم، وكانت في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي عاصمة لفرغانة.[٢]



(١) أي الترك الكفار، وكأن المقصودين هم المغول أو الخطا أو كلاهما، والله أعلم.

(٢) "تركستان من الفتح العربي" : ٢٦٧-٢٦٨.

وقال ياقوت:

"بلد بما وراء النهر من نواحي فرغانة، ويقال أوزجند[١]، وخُبرت أن كَند بلغة أهل تلك البلاد معناه القرية ... ولها بساتين ومياه جارية، ينسب إليها جماعة منهم: علي بن سليمان بن داود الخطيبي، أبو الحسن الأُوزكَنْديّ ... "[٢]

(١) وذلك لأنه سماها أوزكند.

(٢) "معجم البلدان" : ١/٢٨٠.

أُوش

كانت تعد ثالث مدن فرغانة من حيث المساحة، وكان يوجد بالقرب منها رباط كبير يقصده المجاهدون من كل صوب.[١]

ومن علمائها عمران بن موسى الأوشي، ومسعود بن منصور الأوشي، سكن سمرقند، والعجيب أن هذا العالم وزوجه وولده ماتوا جميعاً في ليلة واحد بمنتصف ذي الحجة سنة ٥١٩.[٢]

---

(١) "تركستان من الفتح العربي" : ٢٦٧-٢٦٨.

(٢) "الأنساب" للسمعاني : ١/٢٨٨-٢٢٩.

بخارى

قد ذكرها قدماء المؤرخين وأثنوا عليها، فمن هؤلاء القزويني حيث قال:

"بخارى مدينة عظيمة مشهورة بما رواء النهر، قديمة، طيبة ... ولم تزل بخارى مجمع الفقهاء ومعدن الفضلاء، ومنشأ علوم النظر ... وكانت الرئاسة في بيت مبارك ونسبهم ينتهي إلى عمر بن عبدالعزيز، وتوارثوا تربية العلم والعلماء كابراً عن كابر ... ولم تُر مدينة كان أهلها أشد احتراماً لأهل العلم من بخارى". [١]

وقال ياقوت الحموي:

"بخارى من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها ... مدينة قديمة، نَزِهة، كثيرة البساتين، واسعة الفواكه، جَيِّدها".

ثم ذكر حديثاً طويلاً في فتحها، وأن الذي تولى ذلك عبيد الله بن زياد صلحاً، ثم أكّد فتحها ووثقه سعيد بن عثمان بن عفان سنة ٥٥هـ صلحاً أيضاً بعد حصار وحروب، ثم فتحها فتحاً نهائياً قتيبة بن مسلم سنة ٨٧هـ، ولما دخلها وجد فيها قدوراً يُصعد إليها بالسلالم. [٢]

---

(١) "آثار البلاد وأخبار العباد": ٥٠٩-٥١١.

(٢) "معجم البلدان": ٣٥٣/١-٣٥٦.

وقال الحميري:

" بخارى من بلاد خراسان، وهو بلد واسع ... والمسجد الجامع بها معدوم المثال، كثير الاحتفال، وببخارى بشر كثير لا يحصيهم العدد، وجُلّ أهلها مياسير، ويشق رَبَضها نهر الصَغْد، ويخترق أكثر ديارها وشوارعها وأسواقها، ولأهل بخارى عليه أرحاء[١] عدة، وبضفتيه المنارة والبساتين والجنات والحدائق المتسعة والأشجار والمزارع، ويقع فاضل هذا النهر في بحيرة كبيرة هناك ...

ويرجع أهلها من العفة، والدماثة، والأمانة، وحسن السيرة، وحسن المعاملة، وقلة الشر، وإفاضة الخير، وبذل المعروف، وسلامة النية إلى ما يفضلون به سائر الناس"[٢]

ويذكر الأستاذ عبد المؤمن السيد أكرم محمد في كتابه "أضواء على تاريخ توران"[٣] أن اسمها مشتق من بخار وهو العلم بلسانهم، وذلك لكثرة ما أخرجت من علماء أفاضل وحكماء بارعين.[٤]

---

(١) جمع رحى، وهي الطاحونة.

(٢) "الروض المعطار": ٨٢-٨٤.

(٣) ص ٣٦.

(٤) وهناك قول آخر وهو أن بخارى اشتقت من قيهارا، وهي كلمة سنسكريتية وتعني دير، وقد جاءت الكلمة من معبد بوذي وُجد هنالك وهو قديم من قبل الإسلام: انظر كتاب "بخارى": ٢١.

ومن آثار بخارى:

منارة كالون الشهيرة، وهي مبنية بشكل هندسي ملولب لطيف من القاعدة إلى الرأس، وقد بناها أحد السلاطين السلاجقة سنة ١١٢٧م.

وقال د. خالد المطري:

"تعتبر بخارى محطة قديمة للقوافل التجارية القديمة ... تشتهر مساجدها بروعة العمارة الإسلامية وفنوها الجميلة ... كما تشتهر بمدارسها الإسلامية الجميلة إلى جانب شهرها بالسجاد الفاخر ذي النقوش الجميلة والصناعة المتينة والصوف الناعم ...

وقد تعرضت مدينة بخارى للتخريب في عام ٦١٦هـ على يد جنكيزخان، وفتحها الأوزبك عام ٩٠٥هـ.

وكان بها ١٩٧ مسجداً و ١٦٧ مدرسة لم يبق منها بعد استيلاء الشيوعيين غير مسجد واحد مفتوح للعبادة ومدرسة دينية واحدة.

ومن مساجدها الباقية من أكثر من ثمانية قرون مسجد "مغاك عطاري".[(١)]

ومن مدارسها الباقية مدرسة "أولوغ بك" أسست سنة ١٤١٧م. ومدرسة "مير عرب" وأسست سنة ١٥٣٥م.[(٢)]

---

(١) "الموسوعة التاريخية الجغرافية" : ١١٣/٢.

(٢) المصدر السابق: ١١٥/٢.

وبها قبر إسماعيل الساماني عميد الأسرة السامانية التي حكمت البلد.

واليوم بها زراعات متعددة، ومصانع، وقد اكتشف فيها الغاز الطبيعي، وفيها صناعات بتروكيميائية، وفيها ثروات معدنية تستثمر حول المدينة، وهذا أدى إلى توافد الآلاف من المهندسين الروس وأسرهم للسكنى فيها بجوار الأوزبك والطاجيك.(١)

ومن أشهر علمائها الإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ) وابن سينا (ت ٤٢٨هـ) وصدر الشريعة عبيدالله بن مسعود المحبوبي البخاري (ت ٧٤٧ هـ) والمحدث الكبير يزيد بن هارون شيخ الإمام أحمد (ت ٢٠٦ هـ).

ـ وقد احتفلت منظمة اليونسكو بمرور ١٥٠٠ سنة على إنشاء مدينة بخارى.

وتحدث صاحب "الموسوعة التاريخية الجغرافية" : ٤١/٤ حديثاً مفيداً عن بخارى في القرن الماضي فقال:

"كانت من القرن السادس عشر إلى بداية القرن العشرين عاصمة دولة "خانات بخارى " ... في ١٨٦٨م اعتبرت " خانات بخارى " مقاطعة من الإمبراطورية الروسية(٢). وفي ١٩٢٠م أصحبت " جمهورية بخارى الشعبية

(١) "المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز" : ٢٤٩-٢٥٠.

(٢) وكان لها حكم ذاتي معتبر، وعليها أمراء، لكن لما دخل البلاشفة ضموها بالقوة والقهر.

السوفياتية" ثم " جمهورية بخارى الاشتراكية السوفياتية" حيث قُسمت بموجب الحدود التي رسمها ستالين بين أوزبكستان وطاجيكستان وتركمانستان، وذلك بعد إلغاء إقليم " آسيا الوسطى " سنة ١٩٢٤م.

وبخارى أهم مدن جمهورية أوزبكستان ... وقبيل تحول بخارى إلى الاشتراكية السوفياتية كان سكانها ينتمون إلى جماعات عرقية مختلفة كالأوزبك الذين شكلوا ٥٠% من المجموع وسكنوا في الوديان وعملوا في الزراعة وتربية المواشي، والطاجيك الذين سكنوا المدن والمناطق الجبلية إلى جانب التركمان والفرس والعرب والروس والتتار والهندوس واليهود والأفغان، وكانت المجموعات الثلاث الأخيرة ناشطة في بخارى في التجارة والحرف.

وآخر أمير لبخارى -من ١٩١٠م حتى أوائل أيلول ١٩٢٠م- هو عليم خان[١] الذي طرد من عرشه بعد احتلال قوات من الجيش الأحمر لمدينة بخارى، فهرب وحاول تنظيم مقاومة ضد الحكم الجديد، ثم توجه إلى أفغانستان حيث أمضى عشر سنوات يشرف على المقاومة المسلحة داخل بخارى قبل أن يتوفى في كابول".[٢]

---

(١) ويسمى في بعض المصادر سيد مير عالم خان، ولد سنة ١٨٨٠م، ودرس في مدرسة الامبراطور نقولا الحربية في بطرسبيرج، وعينه امبراطور روسيا الكسندر الثالث رسمياً ولي عهد بخارى وهو من سلالة "المانجيت"، ويقال إنها شريفة النسب. انظر كتاب "بخارى" : ٣٥.

(٢) "الموسوعة التاريخية الجغرافية" : ٤/٤٢-٤٣.

ـ ومن اللافت للنظر في بخارى وجود قريتين على مقربة منها: جوكاري وعربخانة، هاتان القريتان يتكلم سكانهما -وعددهم حوالي ثلاثة آلاف نسمة- لغة عربية تختلف في لهجتهما عن اللهجات العربية الأخرى سميت: لهجة بخارى. (١)

ويذكر بعض المؤرخين أن عرب بخارى يسوقون رواية مفادها أنهم من العرب الذين أسرهم تيمورلنك ووطّنهم في هذه الديار. (٢)



(١) "المصدر السابق" : ١١٥/٢.

(٢) المصدر السابق.



2 سيد عبدالأحد بهادور خان، أمير بخارى (حكم ١٨٨٥ – ١٩١٠).
تصوير: هوردي – ليس بعد ١٨٨٧



5 مير عالم، ولي عهد بخارى

تصوير: ف. باسفوين - يناير ١٨٩٣



6 مير عالم في لباس كلية نقولاي العسكرية
تصوير: ف. ياسفوين – يناير ١٨٩٢



3 الأمير عبدالأحد

تصوير: ف. ياسفوين – يناير ١٨٩٢ (القصر الشتوي. بطرسببرج)



4 الأمير عبدالأحد مع ولي العهد سيد مير عالم تيورابادرخان

تصوير: ف. ياسفوين – يناير ١٨٩٢



102 قلعة بخارى

تصوير: ا.أنجيل - ١٨٩٠ - ١٨٩٩



40 ملالي بالدرزهيان

تصوير: ل. س. بارششيفسكي – ١٨٩٠ – ١٨٩٩



39 سكان كورجان-طيب

تصوير :بارششيفسكي – سنوات ١٨٩٠

ترمذ

مدينة مشهورة، على نهر جيحون، في أقصى جنوب أوزبكستان اليوم.

فتحها المسلمون في عهد عبدالملك بن مروان، وقد حكمها بعد ذلك السلاجقة والمغول والأوزبك.

وترمذ القديمة هدمها جنكزخان، وكانت تقوم على ضفة نهر سرخان ويصب في نهر آموداريا (جيحون)، والمدينة الجديدة التي بنيت بعد جنكزخان هي اليوم خرائب[١].

من علمائها المشهورين محمد بن عيسى بن سورة الترمذي صاحب السنن، وقد توفي بترمذ سنة ٢٧٩هـ، ومحمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي المتوفى سنة ٣٢٠هـ وله كتاب " نوادر الأصول في أحاديث الرسول" صلى الله عليه وسلم، وله اليوم ضريح في ترمذ. [٢]

وفي ترمذ اليوم بعض العرب، وقد تحدث عنهم الرحالة ميندروف في كتابه: "رحلة من أورنبروغ إلى بخارى" فقال:

---

(١) " تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي " : ١٥٩.

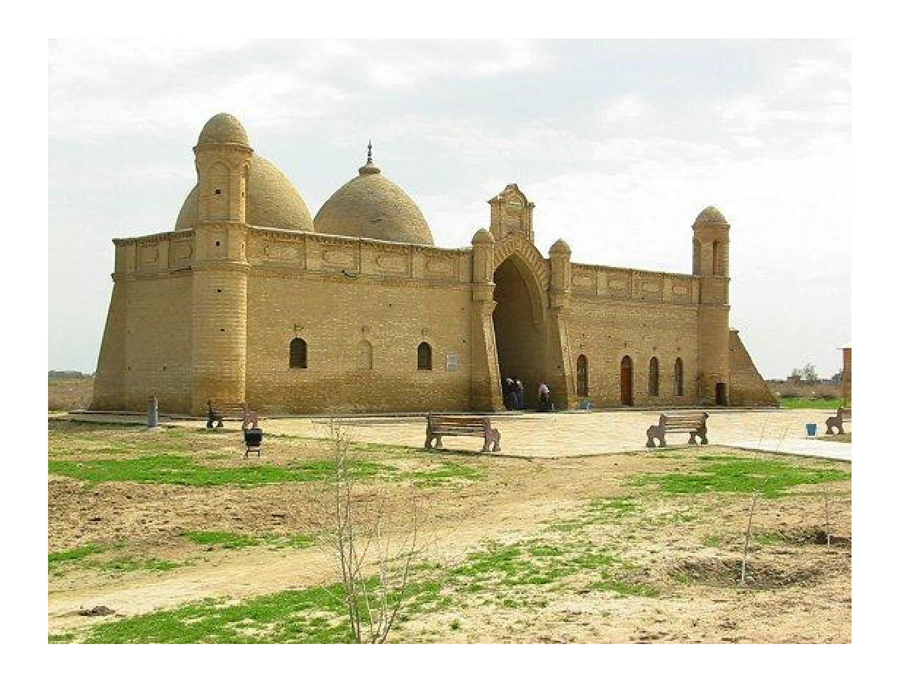
(٢) " الموسوعة التاريخية الجغرافية " : ٤٢/٤.

إن العرب في العشرينات من القرن التاسع عشر كانوا يعيشـــون في ضواحي مدينتي قارشي وترمذ.[(١)]

ومن المحتمل أن يبقى منهم جماعات إلى اليوم لكنهم ذابوا في السكان المحليين.



(١) المصدر السابق : ٢/١١٧. وقارشي هي نَسَفْ، وستأتي إن شاء الله.



خُجَنْد (خُجَنْدة)

من أعمال فرغانة، ومن كبريات مدن ما وراء النهر، وكان عدد سكانها كبيراً. وتبعد عن سمرقند حالياً ١٨٤ ميلاً. [١]

وقال صاحب "مراصد الاطلاع":

"بلدة مشهورة بما وراء النهر، على شاطئ سيحون (أموداريا) بينها وبين سمرقند عشرة أيام، نَزِهة، في وسطها نهر جار، والجبل متصل بها، طولها أكثر من عرضها، يمتد أكثر من فرسخ[٢]، كلها دور وبساتين". [٣]

وانظروا كيف كانت المسافة التي هي ١٨٤ ميلاً تقطع في عشرة أيام، فسبحان من يسر السفر وسهله.

وقال السمعاني:

"فتحت سنة ثلاث ومائة في خلافة يزيد بن عبدالملك. خرج منها جماعة من أهل العلم في كل فن، منهم أبو زكريا يحيى بن الفضل الوراق الخجندي، من كبار الناس، ممن جمع الآثار، وخرَّج كثيراً، ورحل .."[٤]

---

(١) "تركستان من الفتح العربي" : ٢٧٧.

(٢) الفرسخ ستة عشر ميلاً.

(٣) "مراصد الاطلاع": ٤٥٣/١.

(٤) "الأنساب" : ٣٢٧/٢.

خوارزم (خِيْوَة)

بلد قديم جداً، تنتمي غالبية أراضيه حالياً إلى أوزبكستان.

امتد نفوذ خوارزم في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ليضم مناطق واسعة من آسيا الوسطى وأفغانستان وبلاد الفرس قبل أن تقضي عليها جيوش جنكزخان، وبعدها قوات تيمورلنك الذي سيطر على خوارزم نهائياً سنة ١٣٨٨م.

وفي القرن السادس عشر وما بعده حكمت خوارزم قبائل أوزبكية مختلفة اتخذت في سنة ١٥٩٣م مدينة خيفا -خيوة- عاصمة لها، ومنذ ذلك الوقت عرفت تلك الدولة في روسيا وأوربا بولاية خيفا على أن خوارزم بقيت مصطلحاً محلياً.

ومن أهم علمائها الخوارزمي واضع علم الجبر واللوغاريتمات.

وأبو علي ابن سينا المشهور بالطب والفلسفة.

وأبو الريحان البيروني الباحث في الرياضيات والفلك.

وفيها مئذنة كوتلغ تيمور، وهي أعلى مئذنة في آسيا الوسطى، وبنيت ما بين ١٣٢٠ - ١٣٣٥م.

وفي سنة ١٨٧٣م صارت خيفا-خيوة- ولاية روسية، وفي سنة ١٩٢٠م أُعلنت " جمهورية خوارزم السوفياتية" في خيفا، واستمرت حتى سنة ١٩٢٤م حين قسمت الأراضي الخوارزمية بين أوزبكستان وتركمانستان.

ولا تزال خيفا تشتهر إلى اليوم بمبانيها الرائعة ومئذنتها " كالتا مينار" العالية.[١]

وقال صاحب "مراصد الاطلاع" مفرقاً بين خوارزم وخيوة (خيفا):

"بلد من نواحي خوارزم وحصن، بينهما نحو خمسة عشر فرسخاً[٢] وأهلها شافعية دون بلاد خوارزم كلها، فإنها كلها حنفية معتزلة"[٣]

وقال القزويني:

"ينسب إليها الشيخ الإمام قدوة المشايخ أبو الجناب أحمد بن عمر بن محمد الخِيوَقي المعروف بكَبْرَىْ. كان أستاذ الوقت وشيخ الطائفة وفريد العصر. له رسالة: "الهائم الخائف من لومة اللائم" من حقها أن تكتب بالذهب..."[٤] ثم أورد نصاً من الكتاب قائلاً:

ومن عجائبها ما ذكر أن للشيطان لطائف عجيبة في إضلال الناس، فيضلّ كلّ واحد حسبما يليق بحاله: أمّا الجهال فيضلّهم بجهلهم، وأمّا العلماء فيقول:

---

(١) "الموسوعة التاريخية الجغرافية ": ٤/٤٢-٤٣.

(٢) "مراصد الاطلاع " : ١/٤٩٨.

(٣) والفرسخ ستة عشر ميلاً.

(٤) "آثار البلاد": ٥٢٨.

اشتغل بتحصيل العلوم، أما عرفت قول النبيّ، صلى الله عليه وسلم: لفقيه واحد أشدّ على الشيطان من ألف عابد؟ فاصرف عمرك في تحصيل العلوم، فإذا كان آخر عمرك اشتغل بالعمل؛ فيأتيه الموت فجأة، فيكون له علم بلا عمل.

وحكى، رحمه الله، أنّه كان يجاهد نفسه، فجاء الشيطان ليوسوس عليه الحال فقال: إنّك رجل عالم تتبع آثار النبي، صلّى الله عليه وسلّم، فاشتغل بسمع أحاديث النبيّ وآثار المشايخ الكبار الحُفّاظ، فإنّك إن اشتغلت بمجاهدة النفس فات عليك إدراك المشايخ الكبار والأستاذ العالي، وأمّا المجاهدة فلا تفوتك فيما بعد! فكدت أعمل بوسوسته فهتف بي هاتف:

وَمَنْ يَسمَع الأخبارَ مِنْ غَيرِ وَاسطٍ ... حَرَامٌ عَلَيْهِ سَمْعُهَا بِوَسَائِطِ !

فعرفت أن ذلك الخاطر من وساوسه فتركته". توفي الشيخ قريباً من سنة عشر وستمائة.[١]

(١) المصدر السابق.

ولابد للعبد من جمع بين العلم والمال.

سمرقند

ومعنى هذا الاسم: وجه الأرض.

وقال الحميري: "وهي كثيرة الخصب والنَعم والفواكه ... وفي المدينة ديار شامخة وقصور عظيمة، وقلما يكون فيها قصر ولا دار كبيرة إلا وفيها بستان ومياه متدفقة"[١]

وقد وصفها ابن بطوطة بقوله:

"إنها من أكبر المدن[٢]، وأحسنها، وأتمها جمالاً، مبنية على شاطئ واد يعرف بوادي القصّارين، وكانت تضم قصوراً عظيمة وعمارة تنبئ عن همم أهلها".

قال القزويني:

"وليس على وجه الأرض مدينة أطيب ولا أنزه ولا أحسن من سمرقند".[٣]

---

(١) "الروض المعطار": ٣٢٢-٣٢٣.

(٢) ظلت سمرقند من حيث الرقعة وعدد السكان أولى مدن ما وراء النهر قاطبة حتى في تلك العهود التي كانت فيها بخارى عاصمة للبلاد كما حدث في عهد السامانيين، وهذه المكانة التي نالتها سمرقند إنما ترجع قبل كل شيء إلى موقعها الجغرافي الفريد عند ملتقى الطرق التجارية الكبرى القادمة من الهند مارة ببلخ ومن إيران مارة بمرو، ومن أراضي الترك، كما أن ما امتازت به المنطقة من خصب غير عادي جعل من الميسور لعدد هائل من السكان أن يجتمعوا في بقعة واحدة. انظر " تركستان من الفتح العربي " : ١٧٠.

(٣) "آثار البلاد" : ٥٣٥.

فتحت على يد القائد قتيبة بن مسلم الباهلي سنة ٨٧هـ/٧٠٥م، وأعاد فتحها سنة ٩٣هـ/٧١٢م، ثم ملكها السامانيون بتفويض من المأمون العباسي سنة ٢٠٤هـ، ثم توالى عليها الحكام إلى أن خربها المغول، ثم بعد إسلامهم عمروها، واتخذها تيمور لنك عاصمة لملكه، ونقل إليها الصناع وأرباب الحرف، وشيد فيها قصوراً جليلة وآثاراً جميلة.

ثم خضعت سمرقند لحكم الشيبانيين لأكثر من قرنين، ثم حدث فيها صراع داخلي وغزاها نادر شاه الفارسي، ثم استولى عليها الروس في القرن التاسع عشر وصارت المدينة الثانية بعد طشقند في الأهمية، ثم استولى عليها البلاشفة في القرن العشرين.

وكانت سمرقند -وهي المنافسة التاريخية لبخارى- وبخارى قاعدتين لنشر الإسلام في الصين والهند وروسيا حتى أن دوق روسيا كان يدفع الجزية سنوياً لأمير بخارى.

ومن أهم أعلام سمرقند أبو منصور محمد بن أحمد السمرقندي وهو فقيه حنفي له كتاب " تحفة الفقهاء "، وأبو الليث نصر بن أحمد السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٥هـ صاحب كتاب " بستان العارفين وتنبيه الغافلين" ، وأبو منصور الماتريدي المشهور.

وهي اليوم قد تغيرت بما استحدث فيها من مناطق صناعية ومباني سكنية على نمط الطراز الروسي، وفيها صناعات متعددة، ومراكز للبحث

العلمي، ومعاهد علمية وتجارية، وسكانها ٤٠٠.٠٠٠ بإحصاء سنة ١٩٩٥م[١]، وهي ثاني مدن جمهورية أوزبكستان.

وفي سمرقند آثار جليلة شيد كثير منها في عهد تيمورلنك، وفيها ضريح قثم بن العباس رضي الله عنه -فيما يقال- وفيها ضريح الإمام البخاري رحمه الله تعالى، وهو في ضاحية من ضواحي سمرقند، وفيها قبر تيمورلنك الذي يعد آية في الفن المعماري الآسيوي. [٢]

ومن صناعاتها القديمة المهمة الكاغد، وهو الورق السمرقندي الذي انتقل سر صناعته من الصين، ثم من سمرقند شاع في العالم كله.

وفيها مدارس قديمة كثيرة حولها الروس إلى مبان أثرية سياحية.

ومن مدارسها الباقية مدرسة شيردار " وأسست سنة ١٦١٩م، ومدرسة " طلا كاري" وأسست سنة ١٦٤٦م. [٣]

وفي المدينة مسجد جامع ضخم باسم بيبي هانم زوجة تيمورلنك الأثيرة لديه، وأطواله ١٠٠×١٤٠م تقريباً، وعلو قبته ٤٤م، وعلو منارته ٥٠م، وقد بناه تيمور لنك تخليداً لانتصاراته في الهند، وهو من أكبر مساجد العالم الإسلامي، وأكبر مسجد في آسيا الوسطى، وقد جلب تيمورلنك المعماريين

---

(١) المسلمون في آسيا الوسطى: ٢٤٨.

(٢) " الموسوعة التاريخية الجغرافية " : ٤/٤٣.

(٣) المصدر السابق: ٢/٢١٥.

والحرفيين المهرة من كل بلاد الشرق لإتمام بنائه، وجلب الأفيال من الهند لتساعد في النقل والحمل.

ومن أعظم من ملك سمرقند بعد تيمورلنك حفيده أولوغ بيك، وكان محباً للثقافة والفنون والعلوم والعمران، وأتى لها بالعلماء من كل حدب وصوب، وكان هو نفسه عالماً فلكياً ومدرساً للرياضيات، وبنى مدرسة عليا للطلاب يدرسون فيها العلوم كافة، وبنى مرصداً فلكياً ضخماً ومهماً اكتشف العلماء الروس ما تبقى منه سنة ١٩٠٨م، ورمموه بعد عام ١٩٢٠م وبنو بجواره متحفاً يحوي كتب الفلك النادرة.

ويتوقع أن تحتفل منظمة اليونسكو بمرور ٢٧٥٠ عاماً على إنشاء المدينة.

وهناك كتاب باق إلى اليوم جزء منه محقق اسمه "القند في ذكر علماء سمرقند"، ومؤلفه نجم الدين عمر بن محمد النسفي (ت ٥٣٧هـ) ذكر فيه المصنف تراجم لآلاف من علماء سمرقند !!. (١)

---

(١) والكتاب مطبوع في مكتبة الكوثر. الرياض : سنة ١٤١٢هـ/١٩٩١م.



58 شارع طشقنتسكايا من مدرسة بيبي خانون إلى ساحة ريجيستان.
تصوير فقيدتيسكي ١٨٩٤-١٨٩٧

68 شارع في البلدة القديمة في يوم سوق.
تصوير: فليدنيسكي ١٨٩٤-١٨٩٧



59 شارع طشقنتسكايا من شار-سو.
تصوير: كوزلوفسكي (تسعينات القرن ١٩)



115 صورة لأسوار المدينة وبوابة بخارى.
تصوير: كوهن ١٨٧١-١٨٧٢

طشقند (الشاش)

قال القزويني:

" من أنزه بلاد الله وأكثرها خيراً، وكانت عامة دورهم يجري فيها الماء، وكلها مستترة بالخضرة".(١)

وقال الحميري:

" الشاش مدينة جليلة من عمل سمرقند وليس بخراسان وما وراء النهر كورة ولا إقليم على مقدارها في المساحة أكثر منابر وقرى عامرة من هذه الناحية ... والشاش في أرض مستوية لا جبل فيها ولا أرض مرتفعة، وبساتينها ومتنزهاتها كثيرة، وهي من الثغور التي في ناحية الترك، ولأهلها سطوة ومَنَعَة".(٢)

وقال ياقوت الحموي:

" خرج منها العلماء، ونسب إليها خلق من الرواة والفصحاء ... وأهلها شافعية المذهب، وإنما أشاع بها هذا المذهب مع غلبة مذهب أبي حنيفة في تلك البلاد أبوبكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي، فإنه فارقها

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد.

(٢) الروض المعطار.

وتفقه، ثم عاد إليها فصار أهل تلك البلاد على مذهبه، ومات سنة ٣٦٦هـ، وكان أوحد أهل الدنيا في الفقه والتفسير واللغة".[(١)]

وهي اليوم عاصمة جمهورية أوزبكستان، ولما دخل الروس تركستان نقلوا العاصمة من سمرقند إلى طشقند لأن سكان سمرقند رفضوا تغير الطابع الإسلامي لمدينتهم لما احتلها الروس فنقلوا العاصمة إلى طشقند لأن كثيراً من أهلها كانوا من الروس.

وتقع اليوم على رافد لنهر سيحون –سرداريا- بالقرب من قزقستان، وترتفع عن سطح البحر بـ ٥٢١ متراً، وفيها صناعات ثقيلة وخفيفة، وتعد اليوم أكبر مجمع صناعي في آسيا الوسطى، وفيها زراعة القطن والأرز والفواكه، وعدد سكانها يربو على المليونين ونصف حسب إحصاء سنة ١٩٩٥م.

وفي طشقند اليوم " الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان ... وتتبع هذه الإدارة دائرة دولية تعد مستلزمات السفر إلى بيت الله الحرام، ولغتها أوزبكية، ولهذه الإدارة ممثلون في الجمهوريات الأخرى يطلق على كل واحد منهم "القاضي". أسست هذه الإدارة في العام ١٩٤٦م، وعقدت أول مؤتمر إسلامي لها في العام ١٩٧٦م في طشقند بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على

(١) معجم البلدان.

تأسيسها. وهي أكبر الإدارات الأخرى وأهمها، حيث تشرف على إصدار جميع المطبوعات الإسلامية، ولديها مكتبة إسلامية عامة".[١]

وفي طشقند "معهد الإمام البخاري" ، ويشرف عليه " الإدارة الدينية لمسلمي شمال القوقاز" ومقرها مدينة أوفا وهي عاصمة بشكيريا.[٢]

وفيها مدرسة " براق خان " وأسست سنة ١٦٠٠م.[٣]



(١) "الموسوعة التاريخية الجغرافية " : ٢/١١١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: ٢/١١٥.

فرغانة

قال القزويني:

"فرغانة ناحية مشتملة على بلاد كثيرة بعد ما وراء النهر، متاخمة لبلاد الترك، أهلها من أتم الناس أمانة وديانة، على مذهب أبي حنيفة، وأحسن الناس صورة، كانت ذات خيرات وغلات وثمرات ..."(١)

وقال ياقوت الحموي:

"كثيرة الخير، واسعة الرستاق –البساتين- يقال: كان بها أربعون منبراً، وبفرغانة -في الجبال الممتدة بين الترك وبينها- من الأعناب والجوز والتفاح وسائر الفواكه، والورد والبنفسج وأنواع الرياحين، مباح ذلك كله لا مالك له ولا مانع يمنع الآخذ منه، وكذلك في جبالها وجبال كثيرة مما وراء النهر من الفستق المباح ما ليس ببلد غيره.

قال الأصطخري:

فرغانة اسم الإقليم، وهو عريض موضوع على سعة مدنها وقراها، وقصبتها - أي عاصمتها- اخسيكث، وليس بما وراء النهر أكثر من قرى فرغانة ...(٢)

وقال الحميري واصفاً عاصمتها اخسيكث الآنفة الذكر:

---

(١) "آثار البلاد".

(٢) "معجم البلدان": ٤/٢٤٨.

"وهي على شط نهر الشاش، على أرض مستوية، بينها وبين الجبل نحو نصف فرسخ، وهي على شمال النهر ... ومصلى العيد على النهر، وبفرغانة معادن الذهب والفضة بناحية اخسيكت، ولها مدن كثيرة..."[(١)]

ومن مشاهير علماء فرغانة القاضي حسن بن منصور الأوزجندي الفرغاني المشهور بقاضي خان، وله فتاوى مشهورة (ت ٥٩٢هـ).

وقال السمعاني: "وفيهم كثرة وشهرة في كل فن ونوع من العلوم"[(٢)] وهذه الكلية عجيبة.

وهي ممتدة في وادٍ على نهر سرداريا "سيحون" في أوزبكستان وطاجيكستان وقيرغيزستان. يزرع فيه القطن والكروم. [(٣)]

في النصف الأول من القرن التاسع عشر كان معظم أراضي فرغانة خاضعاً لسيطرة خانية قوقند وحكامها الأوزبكيين الذين خاضوا حروباً ضد دويلات مجاورة وخصوصاً إمارة بخارى التي انشقت عن خانية قوقند، إضافة إلى اشتباكات مستمرة مع الإمبراطورية الروسية الزاحفة على آسيا الوسطى من الشمال.

---

(١) "الروض المعطار".

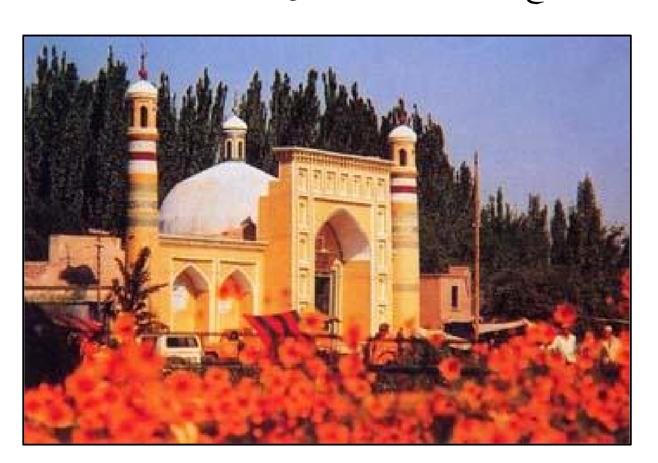
(٢) "الأنساب" : ٤/٣٦٧.

(٣) " الموسوعة التاريخية الجغرافية " : ٤/٤٤-٤٥.

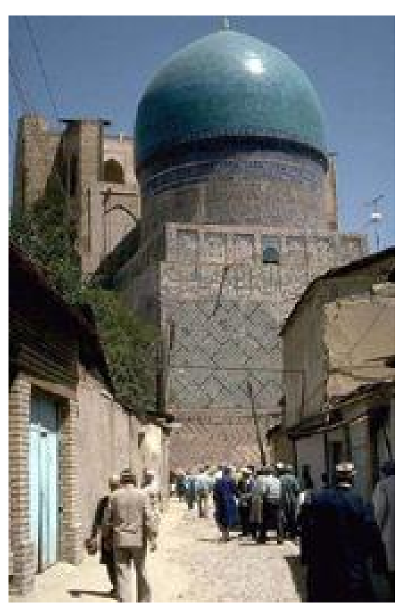
وبعد سقوط خانية قوقند في أواخر سبعينات القرن التاسع عشر وضم أراضيها إلى روسيا شهد سهل فرغانة تقدماً اقتصادياً، وازدهر فيه زراعة القطن التي كانت تغذي مصانع النسيج الروسية.

وبعد الثورة الشيوعية شهدت المنطقة حرباً طويلة شنتها مجموعة من المجاهـــدين وعلى أن الحركة قُمعت فإن السكان ظلوا متمسكين بالدين.

لما قُسم وادي فرغانة على الجمهوريات الثلاث نشبت المشكلات بســـبب تداخل القوميات، فأصبح كثير من الأوزبك داخل قيرغيزستان. (١)



(١) " الموسوعة التاريخية الجغرافية " : ١٥/٧٠.





كاشغر

وهي أهم مدينة في التركستان الشرقية، وكانت عاصمتها دهراً طويلاً، ولما استولى عليها الشيوعيون سموها "شوفو"[١] في جملة ما غيروه من أسماء مدن التركستان.

وقال عنها ياقوت الحموي:

"هي مدينة وقرى ورساتيق –بساتين- يسافر إليها من سمرقند وتلك النواحي، وهي في وسط بلاد الترك، وأهلها مسلمون، يُنسب إليها من المتأخرين أبو المعالي طُغْرُلْشاه محمد بن الحسن بن هاشم الكاشغري الواعظ، وكان فاضلاً، سمع الحديث الكثير، وطلب الأدب والتفسير، ومولده سنة ٤٩٠ ... وأبوعبدالله الحسين بن علي بن خلف بن جبرائيل الألمعي الكاشغري، كان شيخاً فاضلاً واعظاً، وله تصانيف كثيرة ... وصنف من الحديث زائداً على مائة وعشرين مصنفاً، وتوفي ببغداد سنة ٤٨٤"[٢]

(١) الموسوعة التاريخية الجغرافية: ٣٣٣.

(٢) "معجم البلدان": ٤/٤٣٠-٤٣١.

وقال الحميري:

"كثيرة الخيرات، فيها متاجر وبضائع، وهي على نهر صغير"[١]

وقال السمعاني:

"هي من ثغور المسلمين اليوم، خرج منها جماعة من أهل العلم في كل فن"[٢]

---

(١) "الروض المعطار".

(٢) "الأنساب" : ١٠/٣٢٤-٣٢٦.

كَش (شهر سبز)

كانت تعد أَعظم مدن الصَغْد، وتدهورت على عهد السامانيين، وهي اليوم معروفة باسم شهر سبز، وينطقها الأهالي شرسبز.[١]

وقال القزويني:

"مدينة بقرب سمرقند حصينة ... وفي عامة دورها الماء الجاري والبستان ... ومن مفاخرها أبو إسحاق الكَشي المشهور بالجود والكرم. ومن العجائب ما حُكي عنه أن بعض أصدقائه شكا إليه سوء حاله وكثرة ديونه فسأله أبو إسحاق عن مقدار دينه ووزن في الحال وقال: اصرف هذا في دينك. ثم وزن مثلها وقال: اصرف هذا في مصالحة شأنك، وجعل يعتذر إليه اعتذار المذنب. فلما ذهب الرجل بكى بكاءً شديداً، فسئل عن بكائه فقال: بكائي على غفلتي عن حال صديقي حتى افتقر إلى رفع الحال إلي، والوقوف موقف السؤال!!!"[٢]

ويقال لها أيضاً كِسْ.[٣] والأول أشهر وأكثر.

---

(١) "تركستان من الفتح العربي" :٢٣٨.

(٢) "آثار البلاد": ٥٥٤.

(٣) "الأنساب": ٥/٧٨.

مرغلان

وتعرف قديماً باسم مرغينان، وتقع في الجنوب الشـرقي مـن وادي فرغانة، وهي مدينة قديمة، وكان متوقعاً أن يحتفل اليونسكو سنة ٢٠٠٧ بمرور ألفين عاماً على تأسيسها.

ومن علمائها على بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني (ت ٥٩٣هـ)، من أكابر فقهاء الحنفية، من تصانيفه "بداية المبتدي" وشـرحه: " الهداية ".

ويصفها السمعاني بأنها "من أشهر البلاد من نواحي فرغانـة، وقـد أصحبت منذ عهد القراخانيين أهم مدن المنطقة.[١]

(١) "تركستان من الفتح العربي" : ٢٦٩-٢٧٠.

نَسَف (نَخْشَب) (قَرْشي)

ونسف مدينة مشهورة في التاريخ الإسلامي، أما اسم المدينة الحالي فلم تتسم به المدينة إلا قبل ستة قرون، وقرشي: قصر بلغة المغول، الذين سيطروا على المدينة في القرن الرابع عشر الميلادي، وكان النهر يجري وسط المدينة، وعلى ضفته دار الإمارة، وبها مسجد جامع وموضع لصلاة العيد، والأسواق بين دار الإمارة والمسجد الجامع. والمسافة من بخارى إلى نسف حوالي تسعين ميلاً. (١)

وكان اسمها قديماً نخشب، ويقال إن نسفاً تعريب لنخشب، وقال ياقوت:

"من مدن ما وراء النهر بين جيحون (أموداريا) وسمرقند ... كثيرة الأهل والرستاق (البساتين) خرج منها جماعة كثيرة من أهل العلم في كل فن ... ولها نهر واحد يجري في وسط المدينة ... وقد خرج منها خلق كثير من العلماء ..." (٢)

---

(١) "تركستان من الفتح العربي" : ٢٤٠.

(٢) "معجم البلدان" : ٥/٢٨٥.

وقال القزويني:

"مدينة مشهورة بأرض خراسان منها الأولياء والحكماء يُنسب إليها الحكيم ابن المقفع ... وينسب إليها أبو تراب عسكر بن الحصين النخشبي صاحب حاتم الأصم"(١)

ومن أهم علمائها أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي، أحد الزهاد المتأخرين، والأئمة المعتبرين، وقد ألف تفسير النسفي المشهور المسمى بـ "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" ومؤلفات أخرى. توفي سنة ٧٠١هـ رحمه الله تعالى. (٢)

وقد خرج منها من العلماء في كل فن جماعة لا يُحصون، كما ذكر السمعاني.

---

(١) "آثار البلاد" : ٤٦٦

(٢) انظر "التفسير والمفسرون" : ٣٠٤/١.

المدن التي كانت معروفة ثم اندثرت

١. أسفيجاب:

كانت ثغراً جليلاً، ودار جهاد، وقال المقدسي إنه كان فيها ١٧٠٠ دار للمتطوعة الجهاديين، ولعلها اليوم قرية سيرام،(١) وكان منهم جماعة من العلماء، منهم أبو علي الحسن بن منصور الأسفيجابي.(٢)

وقال ياقوت:

"لم يكن بخراسان ولا بما وراء النهر بلد لا خراج عليها إلا أسفيجاب؛ لأنها كانت ثغراً عظيماً فكانت تعفى من الخراج وذلك ليصرف أهلها خراجها في ثمن السلاح والمعونة على المقام بتلك الأرض ... حتى أتت على تلك النواحي حوادث الدهر وصروف الزمان ... فبقيت تلك الجنان خاوية على عروشها تُبكي العيون وتُشجي القلوب، منهدمة القصور، متعطلة المنازل والدور ... فلم يبق من تلك الجنان والقصور المشرفة غير حيطان مهدومة وآثار من أمم معدومة، وقد كان أهل تلك البلاد أهل دين متين وصلاح مبين ونسك وعبادة، والإسلام فيهم غض المَجْنى حلو المعنى، يحفظون حدوده

---

(١) "تركستان من الفتح العربي" : ٢٩٠-٢٩٢.

(٢) "الأنساب" : ١/٤٣٤.

ويلتزمون شروطه، لم تظهر فيهم بدعة استحقوا بها العذاب والجلاء ولكن يفعل الله بعباده ما يشاء"[١]

٢. بِيْكَند:

وكانت حصناً على بعد خمسة فراسخ من بخارى، واشتهرت قبل الإسلام وبعده، وكانت لها تجارات مع الصين وغيرها حتى أطلق عليها مدينة التجار، ثم خربت بعد ذلك في القرن السادس الهجري.[٢] وهي اليوم أطلال.[٣]

وقد قال ياقوت الحموي وهو من أهل القرن السابع الهجري:

"كانت بلدة كبيرة حسنة، كثيرة العلماء، خربت منذ زمان" ثم ذكر أن بها قرابة ألف رباط للغزاة !!، وذكر عالمها المشهور محمد بن يوسف البيكندي شيخ الإمام البخاري.[٤]

وقال الحميري:

"افتتحها قتيبة بن مسلم سنة سبع وثمانين"[٥]

---

(١) "معجم البلدان": ١٧٩/١.

(٢) "تركستان من الفتح العربي" : ٢١٧-٢١٨.

(٣) المصدر السابق: ٢١٨.

(٤) "معجم البلدان" : ٥٣٣/١.

(٥) "الروض المعطار" : ١٢٣.

٣. فِرَبْر:

وهي بلدة قريبة من بخارى، وقد خربت منذ وقت بعيد.[١]

ومن أشهر علمائها محمد بن يوسف الفِرَبْري راوية صحيح الإمام البخاري رحمه الله عليهما. [٢]

إلى هنا تم الكتاب والله الموفق للصواب.

---

(١) "تركستان من الفتح العربي" : ٢١٦.

(٢) "معجم البلدان" : ٤/٢٤٥-٢٤٦.

المصادر والمراجع

ـــ"آثار البلاد وأخبار العباد" : زكريا بن محمد القزويني. نشر دار صادر. بيروت.

ـــ"الأنساب" أبو سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني (ت ٥٦٢هــ) تعليق عبدالله البارودي. نشر دار الكتب العلمية. بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هــ.

ـــ"بخارى" : فيتالي نومكين وأندريه فيتسكي. ترجمة صلاح صلاح. نشر المجمع الثقافي. أبو ظبي الطبعة الأولى سنة ١٩٩٥م.

ـــ"تركستان الشرقية : البلد الإسلامية المنسي" : توخي أخون أركين.

ـــ"الروض المعطار في خبر الأقطار": محمد بن عبدالمنعم الحميري. تحقيق: د. إحسان عباس. نشر مكتبة لبنان. بيروت.

ـــ"تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي": فاسيلي بارتولد، وترجمة صلاح هاشم. نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت سنة ١٤٠١هــ/١٩٨١م.

ـــ"التفسير والمفسرون" د. محمد حسين الذهبي. الطبعة الثانية سنة ١٣٩٦هــ/١٩٧٦م بدون دار نشر.

ــ"سمرقند" :فيتالي نومكين. ترجمة صلاح صلاح. نشر المجمع الثقافي. أبو ظبي. الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م.

ــ"شبكة إسلام أون لاين.

ــ"شبكة الأخبار العالمية الأيغورية.

ــ"الفتح المبين في بعض أحوال الإسلام والمسلمين في الاتحاد السوفيتي"، الطبعة الأولى -عبد الحميد جعفر الداغستاني، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

ــ"القند في ذكر علماء سمرقند": نجم الدين النسفي، مكتبة الكوثر، الرياض، ١٤١٢هـ.

ــ"في بلاد المسلمين المنسيين"، بخارا وما وراء النهر ، محمد ناصر العبودي لطبعة الأولى ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م.

ــ"مجلة المجتمع".

ــ"مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع" صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي (ت ٧٣٩هـ). تحقيق الأستاذ علي البجاوي. دار إحياء الكتب العربية: عيسى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة.

ــ"المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز": د.خالد المطري.

ـــ"المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ"، د.محمد علي البار، نشر دار الشروق، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ – ١٩٨٣، نشر دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع جدة. الطبعة الأولى ١٤٢٠/٢٠٠٠.

ـــ"مسلمو تركستان والغزو السوفيتي من خلال التاريخ والأدب": د.شيرين حسنين.

ـــ"معجم البلدان": ياقوت الحموي. نشر دار صادر. بيروت. سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

ـــ"الموسوعة التاريخية الجغرافية والسياسية": مسعود الخوند. نشر بيروت سنة ٢٠٠٣م.

فهرس المحتويات